كاتب وباحث لبناني للوفاق:

المقاومة تنتصر بتلاحمها مع بيئتها وتنهزم بانفصالها عنها

بات جلياً أن العدو الصهيوني لم يحقق أي نصر عسكري حاسم أو إستراتيجي في المواجهات الطويلة والمتعددة والمستمرة مع حركات المقاومة، ويحاول الكيان الغاصب الاستعاضة عن فشل الحسم العسكري بالمؤامرات التي تحاول تفكيك عناصر القوة والصمود لدى المقاومة، والتي يأتي على رأسها توفر بيئة حاضنة تلتف حول المقاومة وتعلن دوماً جهوزيتها للتضحيات، حول هذا الموضوع حاورت الوفاق الكاتب والباحث اللبناني الدكتور عبد الله عيسى، وفيما يلي نص الحوار:

الوفاق
عبير شمص

استهداف البيئة في سياق استضعاف المقاومة

يعتبر الدكتور عيسى بأن مجتمعات المقاومة تتألف لا سيّما في لبنان وفلسطين، من كافة الجماعات والأفراد الذين يؤمنون بعقيدة المقاومة وينخرطون في تبنّي رؤيتها وخطابها ويناصرون قيادتها ويؤدّون أدوارهم من مواقعهم المختلفة كأوفياء لانتصاراتها وتضحياتها، وهؤلاء متنوعو الانتماءات الدينيّة والفكريّة والسياسيّة والطائفية والحزبيّة ومن مناطق جغرافية متعددة ومن شرائح عمريّة مختلفة ومستويات اجتماعية واقتصاديّة وعلميّة متفاوتة، وبرساميل ثقافيّة واجتماعيّة ورمزيّة متعدّدة. وبيئة المقاومة منظومة متكاملة من العقيدة والسياسة والاقتصاد والاجتماع، مما يجعل استهدافها صعبًا رغم محاولات تفكيكها وبقاؤها يعتمد على تجذرها الشعبي وقدرتها على التكيّف مع التحديات. تشتمل على أحزاب وتيارات تدعم المقاومة فكريًا وسياسيًا، وتعمل على تمثيلها في المؤسسات التشريعية والحكومية، ولديها مؤسّسات خيريّة وتعليميّة وفنيّة تُعزّز ثقافة المقاومة.

ويتابع حديثه بالقول:" ومن الأسس الفكريّة والعقائديّة لبيئة المقاومة الرفض المطلق للاحتلال والهيمنة والاستناد إلى الشرعية الدينية للجهاد في سبيل الله والدفاع عن المقدّسات وإلى مفاهيم التحرّر الوطني والقومي والدفاع عن السيادة والأمن الوطني والقومي. والثقة بـ"معادلة القوة" كضامن للتحرير، والإيمان بأن التفاوض دون قوة عسكرية وسياسية فاعلة لن يُجدي (تجربة اتفاق أوسلو كمثال سلبي)، ورفض التبعية للدول المانحة المشروطة، والسعي نحو الاكتفاء الذاتي قدر الإمكان (مثل اقتصاد غزة تحت الحصار، والصمود اللبناني ما بعد صدور قانون قيصر بحصار سوريا وتأثيره على لبنان وتفعيل الأزمة الاقتصاديّة المستمرة منذ عام ٢٠١٩ في لبنان). وقد واجهت هذه المجتمعات وهذه البيئة الحصار الاقتصادي والعقوبات الأميركيّة والغربيّة الصادرة لتصنيف حزب الله أو حركة حماس كـ"إرهابيين"، كما لم تسقط في مصيدة الاستهداف الإعلامي لمحاولة تشويه صورة المقاومة وعزلها عن الجماهير، ولم تنهزم أمام الاختراق الأمني لمحاولة تفكيك بنية المقاومة وبيئتها التحتية، فضلًا عن العدوان والاحتلال والإبادة والتهجير واغتيال القادة والحرب النفسيّة وما إلى ذلك. وهي تتسلح بالدرس التاريخي الذي يقول عندما تكون المقاومة تعبيراً عن إرادة شعبية وليست مجرد "تنظيم مسلح"، فإن استهداف بيئتها يعززها لا ينهيها، لكن الهزيمة تحدث فقط عندما تنفصل المقاومة عن شعبها".

صمود رغم التضحيات الجسام

يؤكد الدكتور عيسى بأن صمود بيئة المقاومة في لبنان وفلسطين وتلاحمها مع مشروع المقاومة رغم التضحيات الجسام والخسائر المادية (كالاستشهاد والاعتقال والتدمير الاقتصادي والتهجير وتدمير المنازل والممتلكات والمصانع والمزروعات) يعود إلى مجموعة من العوامل الذاتيّة والموضوعيّة التي تعزّز ثباتها وتجعلها قادرة على تجديد نفسها باستمرار. يكمن السر في التركيبة التكاملية بين الشرعية الأخلاقية والإيمان الداخلي الذي لا يهزم بالخسائر المادية، وبنية مرنة تستوعب الضربات وتُعيد إنتاج نفسها، وسياق إقليمي ودولي يُنتج عداءً مستمرًا فيُغذي شرعية المقاومة، وعلاقة وثيقة ومتينة بقيادة المقاومة التي تمثّل القدوة والمثال في التضحية وصناعة الانتصار وتأمين الحماية، ونتيجة الوفاء للتضحيات على اختلافها، وتحوّل قادتها ولا سيما السيد حسن نصرالله إلى رمز عالمي ومقصدًا لآلاف من الأفئدة التي آمنت به وبنهجه. وما يحصل اليوم من نكث للاتفاقيّات بما يتعلّق بالقرار ١٧٠١ في لبنان وتوقف تبادل الأسرى في فلسطين المحتلة بينما استمر العدوان ولم يعد الكلام عن خروقات بل عن استمرار الحرب والقتل والعدوان والاحتلال الإسرائيلي في لبنان وفلسطين وسوريا. هذه العوامل تجعل من محاولات كسر إرادة المقاومة أشبه بـ"قطع رأس الهيدرا" التي تنمو أجزاؤها من جديد عند المقاومين ومجتمعهم المقاوم وبيئتهم الحاضنة وكل أهل الكرامة.

انصهار وجودي بين المقاومة وبيئتها

فيما يخص بالسؤال حول القدرة على الفصل بين المقاومة وبيئتها فيقول الدكتور عيسى بأن هذا سؤال جوهري في فهم ديناميّات مواجهة العدوان الغربي والإسرائيلي في لبنان وفلسطين. الإجابة عليه تتطلب تحليلًا متعدد الأبعاد، لأن العلاقة بين الاثنين عضوية ومعقدة، فالبيئة هي "الرحم الاجتماعي" للمقاومة ومصيرهما مشترك، أي ضربة للمقاومة (مثل اغتيال القادة) تُعتبر ضربة للبيئة، والعكس صحيح (تدمير البنية التحتية يُضعف المقاومة)، كما توفر لها البيئة الحاضنة للمقاومة أو مجتمعها المقاوم الكوادر البشرية وتساهم في توفير الغطاء السياسي في مجلس النواب وسائر المؤسسات والإدارات الرسمية وغير الرسميّة، وتساهم في الدعم المالي والعيني، كما توفّر غلافًا أمنيًا يحمي المقاومين من التعقّب والملاحقة ويمدها بالمعلومات، بل أصبحت المقاومة جزءًا من الهوية الجماعية، لا مجرد خيار سياسي وتحوّلت إلى رمز للتحرير والحماية والكرامة، وأضحت خيارًا وجوديًا مقابل الحصار والتهجير والإبادة والمجازر الأميركية بيد وطبيعة عدوانية إسرائيلية. يبقى الفصل ممكنًا نظريًا لكن بشروط غير واقعية في المدى المنظور لأن من متطلباته إيجاد بديل مقنع عن المقاومة وتغيير الهوية الاجتماعية لبيئة ومجتمع المقاومة، وافتراض انهيار الدعم الإقليمي الذي يضعف البنية بينما الدوافع ذاتية وليست مستعارة.

لا انفصال بين المقاومة وبيئتها

يشير الدكتور عيسى بأن المقاومة وبيئتها ستبقيان متماهيتين في الموقف عينه على استقامة وثبات في الصبر والنضال، تفدي إحداهما الأخرى طالما لم يُحقق المشروع الوطني أهدافه، وطالما الوطن وأمنه القومي مهدد بوجود هذا الكيان الصهيوني المجرم، ولم يظهر بديل يحمي الناس ويحقق كرامتهم، وطالما هناك من يؤازرهما ويوفر دعما ومساندة عبر جبهة الحق والمقاومة والكرامة، فلا حدود زمنية تقطع هذا الانصهار التام بين المقاومة وأهلها شركاء التضحية وإرادة العيش بكرامة وعز.

وعليه، أي محاولة للفصل بدون حل جذري للأسباب التي أوجدت المقاومة ستكون مثل قطع أغصان شجرة بينما جذورها حية، وسرعان ما تنمو من جديد، لأن هذه المقاومة تعبير عن حاجة أهلها للحماية ومواجهة العدوان وليست على الإطلاق ورقة سياسية بيد أحد حتى تنتهي صلاحيّتها. ولذلك نجد أن المقاومة في لبنان أثناء معركة "أولي البأس" رمّمت مواقعها وتعمل على ترميم كافة قدراتها واستخلاص الدروس والعبر وإعادة هيكلة أنساقها ورسم خارطة الاستمرار على العهد بثقة واقتدار لبلوغ الأهداف، وتستمر في مشاريع الإيواء وإعادة الإعمار والقيام بالاستحقاقات السياسيّة والاجتماعيّة المختلفة، ومنها الانتخابات البلدية أو المحلية كترجمة لحمل المسؤولية المشتركة مع أهلها أكرم الناس.

عندما تكون المقاومة تعبيراً عن إرادة شعبية وليست مجرد "تنظيم مسلح"، فإن استهداف بيئتها يعززها لا ينهيها، تحدث الهزيمة فقط عندما تنفصل المقاومة عن شعبها

ترامب والاقتصاد كأداة سيطرة.. بين الحماية والمجابهة العالمية

الوفاق
د.أكرم شمص

المقدمة:

مع تصاعد التوترات التجارية العالمية، وتزايد الرسوم الجمركية التي فرضها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، لم يعد من الممكن اعتبار السياسة الاقتصادية الأمريكية مجرد سلسلة قرارات محلية. بل باتت هذه السياسات أشبه ببيان سلطوي يعيد تعريف الاقتصاد كأداة للهيمنة، ويفتح تساؤلات جوهرية حول مستقبل النظام العالمي.

في خطوة تعيد إلى الأذهان حقبة الانكماش العظيم في ثلاثينيات القرن الماضي، أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ولايته الثانية عن زيادات غير مسبوقة في الرسوم الجمركية، ليس فقط ضد الخصم الاقتصادي الأول، الصين، بل أيضًا ضد الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة، مثل دول الاتحاد الأوروبي واليابان وكندا. هذه السياسات التي وصفها ترامب بأنها "تحرير اقتصادي" تعيد إلى السطح شبح الحمائية الاقتصادية الذي سبق أن تسبب في ركود عالمي قبل نحو قرن.

أولاً: أمريكا أولًا... والعالم ضدها؟ النظام التجاري الجديد يتشكل خارج واشنطن

من التعاون إلى المواجهة بينما تنطلق النظريات الليبرالية من مبدأ التبادلية وتوازن المصالح في التجارة، يتعامل ترامب مع الاقتصاد كحلبة صراع. الرسوم الجمركية لديه ليست أدوات تنظيمية، بل أدوات عقابية، وشعاراته الاقتصادية تُصاغ بلغة المعركة: "كل وارد خيانة، وكل تصدير انتصار".

- التركيز على مفردات "السيادة الاقتصادية" يخفي وراءه رغبة في فرض السيطرة.
- رفض ترامب للمؤسسات المتعددة الأطراف كمنظمة التجارة العالمية يعكس ميلًا سلطويًا يتجاوز الاقتصاد.

ثانياً: من الحسابات الاقتصادية إلى المنظور الإيديولوجي

خلف السياسات الجمركية هناك استراتيجية عميقة تقوم على:

- تركيز السلطات الاقتصادية في يد الرئاسة.
- تحويل التجارة إلى أداة تهديد ومساومة.
- تصوير العالم وفق منطق صفري: إما أن تفوز أو تُستغل.

حتى المعادلات التي يستخدمها ترامب لتبرير سياساته (مثل العجز التجاري الثنائي) تفتقر للمصداقية الاقتصادية، لكنها تخدم رواية رمزية قائمة على استعادة الهيمنة.

ثالثاً: ترامب يعيد تعريف التجارة: من العولمة إلى الهيمنة الوطنية

منذ عام ١٩٨٧، دعا ترامب إلى فرض رسوم على اليابان. اليوم، تحول هوسه إلى عقيدة:

- الرسوم الجمركية لم تعد أداة تفاوض، بل انتقام سياسي.
- الحلفاء لم يُستثنوا: أوروبا، اليابان، كندا... جميعهم في مرمى النيران.
- الصين في مركز العاصفة، لكن الرسالة موجهة للعالم بأسره.

رابعاً: المركنتيلية الرقمية

هي استخدام الدولة لأدوات الاقتصاد الرقمي والتكنولوجي بنفس العقلية التي كانت تُستخدم بها المعادن الثمينة في الماضي: الهيمنة، الاحتكار، وإقصاء المنافسين. وتحت شعار "أمريكا أولاً"، يعيد ترامب إنتاج هذه السياسة بنسخة رقمية:

- العملة لم تعد ذهبًا وفضة، بل بيانات، تكنولوجيا، عملات رقمية.
- لا يرى المنافسة حافزًا للإبداع، بل تهديدًا ينبغي إزالته.
- الهدف: كسر تنافسية الآخرين بدلًا من تعزيز التنافسية الذاتية.

خامساً: ترامب والتجارة بنهج إمبراطوري: بين الذهب المنطلق والدولار المنهك

- خسائر وول ستريت فاقت ٦ تريليونات دولار في ٤ أيام.
- ارتفاع سعر الذهب، وتراجع الدولار أمام اليورو: مؤشرات على اهتزاز الثقة.
- صعود المخاطر التضخمية، وقلق من ركود عالمي.

سادساً: حروب ترامب التجارية: إعادة تشكيل النظام العالمي أم بداية الانهيار الأمريكي؟

– من سموت-هاولي إلى ترامب في ثلاثينيات القرن الماضي، تسببت تعريفة سموت-هاولي الجمركية في تعميق الكساد الكبير.

- حجم التجارة العالمية تقلص.
- الثقة في النظام المالي انهارت.
- بدأت حينها عملية تراجع الهيمنة الأمريكية.

اليوم، تُستعاد تلك المشاهد بصورة رقمية وحديثة. وإذا لم يُعدل المسار، قد تتكرر الكارثة.

سابعاً: من البيريسترويكا السوفيتية إلى الحروب الجمركية: هل يعيد ترامب كتابة مصير الإمبراطوريات؟

كما فشلت بيريسترويكا غورباتشوف في إنقاذ الاتحاد السوفيتي، قد تفشل "إصلاحات ترامب" في إنقاذ الرأسمالية الأمريكية:

- البيريسترويكا جاءت بعد فساد وتصلب بيروقراطي.
- ترامب جاء بعد تفكك الطبقة الوسطى وهيمنة النخبة.
- النتيجة قد تكون واحدة: انقسام داخلي، فقدان الهيمنة، وتراجع عالمي.

ثامناً: أوروبا... بين الحذر والرد

الموقف الأوروبي يتأرجح بين التهدئة والرد:

- الاتحاد الأوروبي هدّد بإجراءات مضادة.
- فرنسا دعت للحوار وتجنّب الفوضى العابرة للأطلسي.
- الاتحاد يحاول تجنب الانزلاق نحو حرب تجارية شاملة، لكن ضغوط الداخل تتصاعد.

تاسعاً: العلاقات الصينية الأمريكية... نحو العداء الاستراتيجي

- تحولت العلاقات من تنافس إلى مواجهة شاملة.
- الصين تقول إنها سترفع الرسوم الجمركية على السلع الأميركية إلى ١٢٥ ٪
- الصين تتقدم بشكوى إلى منظمة التجارة العالمية ضد الزيادات الأخيرة للتعرفات الأميركية
- الدولار يبلغ أدنى مستوياته مقابل اليورو منذ أكثر من ثلاث سنوات
- النفط يتجه لتكبد ثاني خسارة أسبوعية بسبب الحرب التجارية بين أمريكا والصين
- الصين تبحث عن شركاء جدد، وتحالفات بديلة.
- الحرب التجارية تتحول إلى صراع جيوسياسي على قيادة القرن الحادي والعشرين.

عاشراً: إعادة هيكلة التحالفات التجارية وعودة الصين كمحور جذب عالمي

أدى التصعيد الجمركي الذي انتهجته إدارة ترامب في ولايته الثانية إلى زعزعة الثقة في مكانة الولايات المتحدة بوصفها شريكًا تجاريًا موثوقًا، ما دفع قوى دولية، وعلى رأسها الصين، إلى اغتنام الفرصة لتعزيز علاقاتها مع حلفاء واشنطن التقليديين. فقد كثّفت بكين من جهودها لبناء شراكات تجارية مع الاتحاد الأوروبي، والهند، وكندا، ودول جنوب شرق آسيا، مقدّمة نفسها كمدافع عن النظام التجاري العالمي في مقابل السياسات الأمريكية الحمائية.

وفي وقت تتجه فيه إدارة ترامب إلى الانكفاء، تروّج الصين لرؤية بديلة تقوم على الانفتاح والتكامل الاقتصادي، رغم التحديات التي تطرحها المخاوف من هيمنة السلع الصينية الرخيصة. من جهة أخرى، بدأت تحركات ملموسة من قبل دول مثل اليابان وكوريا الجنوبية وحتى الاتحاد الأوروبي نحو تعميق التعاون مع الصين، في ظل تآكل الدور الأمريكي في قيادة التجارة العالمية.

الخاتمة: نظام تجاري عالمي مجزأ وقيادة جماعية بديلة

أمام حالة عدم اليقين التي سببتها الرسوم الأمريكية، بدأت ملامح نظام تجاري عالمي جديد في التشكل، قائم على تحالفات إقليمية وتكتلات مرنة لا تقودها واشنطن، بل تقوم على تقاطع المصالح. برز تكتلان رئيسيان: الأول يضم دول "الأسواق المفتوحة" مثل الاتحاد الأوروبي وأعضاء CPTPP، والثاني يضم "المتحوطين الاستراتيجيين" مثل الهند والبرازيل وتركيا. كلا التكتلين يتوسعان حاليًا عبر تحديث الاتفاقيات وتوسيع الشراكات البينية، مع ميول واضحة لتعزيز العلاقة مع الصين. ورغم استمرار القلق من سلوك الشركات الصينية، فإن انفتاح بكين على الاستثمار ونقل التكنولوجيا جعلها شريكًا أكثر جذبًا من واشنطن. وهكذا، يبدو أن العالم يتجه نحو نظام تجاري متعدد الأقطاب، تتقاسم قيادته قوى كبرى وإقليمية، مع تراجع الهيمنة الأمريكية كمرجعية وحيدة للنظام الاقتصادي العالمي. وأخيرًا تقف الولايات المتحدة الآن على مفترق طرق مشابه لذاك الذي واجهه الاتحاد السوفيتي في الثمانينات. إذا فشلت "إصلاحات ترامب"، قد نشهد انفجارًا سياسيًا أو انهيارًا اقتصاديًا أو حتى تفككًا اجتماعيًا تدريجيًا. وإذا كانت بيريسترويكا غورباتشوف فتحت الباب لانهيار إمبراطورية حمراء، فقد تكون بيريسترويكا ترامب بداية نهاية إمبراطورية الدولار.

إن مصير النظام العالمي قد يُكتب في واشنطن، كما كُتب ذات يوم في موسكو.

ويبقى السؤال: هل ما نشهده هو لحظة تصحيح... أم بداية انهيار؟